" المقدمة "

لما كان القرآن الكريم دليل الحائر وبغية المريد ، وجدت فيه بغيتى ودليلى المنشود، فاهتديت إلى اختيار هذا الموضوع – الأساليب الطلبية فى القرآن الكريم . دراسة تركيبية دلالية لعلى أسهم فى دراسة أسلوب من أساليب العربية فى ضوء القرآن الكريم.

ويحسن أن ألقى الضوء على المراد بالأساليب والمراد بالطلب .

أولاً: الأساليب جمع (أسلوب):-

أ- (الأسلوب) فى اللغة :

" السطر من النخيل وكل طريق ممتد فهو أسلوب، والأسلوب الطريق والوجه والمذهب، ويجمع أساليب ، والأسلوب الطريق تأخذ فيه ، والأسلوب بالضم الفن يقال أخذ فلان فى أساليب من القول أى أفانين "(١).

ب-(الأسلوب) فى الاصطلاح :

هو الطريقة ، يقال أسلوبى فى الحياة وأسلوبى فى معالجة القضية ، وأسلوبى فى التعبير عن نفسى ، أى طريقتى فى هذه الأشياء جميعا ، وكثيرا ما كنا نسمع حين يتحدثون عن أسلوب كاتب ، أو أديب أن الأسلوب هو الرجل ، أو هو الطريقة التى يعبر بها عن نفسه ، أو طريقة الكتابة ، أو طريقة الإنشاء ، أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعانى قصد الإيضاح والتأثير ، أو الضرب من النظم والطريقة فيه (٢).

هذا كله فهم قديم راسخ فى الأذهان ، لا يكفى بأداء المعنى فى إطار علم اللغة الحديث، وإن كان تعريف الشيخ عبد القاهر الجرجانى يتسم بالإيجاز والتبسيط والشمول ، فهو يرى أن الأسلوب " هو الضرب من النظم والطريقة فيه " (٣).

ومنذ نضج علم اللغة ، واتسعت قاعدته، واتضحت مقولاته، ونجح فى تطوير أساليبه ووسائله فى دراسة اللغة ، بدأ يخضع الأسلوب الأدبى للدراسة العلمية المنهجية، باعتبار أن

---

(١) لسان العرب، لابن منظور ٣/ ٢٠٥٨.

(٢) انظر الأسلوب، للدكتور أحمد الشايب، ودلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجانى / ٤٣٠.

(٣) دلائل الإعجاز /٤٣٠ .

مادته الأساسية هى اللغة ، التى كان علماؤها ينظرون إلى الدراسات البلاغية والنقدية، على أنها دراسات تتسم بالانطباعية والذاتية ، ويغلب عليها التقييم الذى يعتمد على الإحساس الفردى ، فقد ظهر فى الأفق مصطلح (الأسلوبية) بجانب هذا المصطلح (الأسلوب)، الذى بدأ مفهومه يتحدد ويتسع فى الوقت الذى بدأت فيه الدراسة اللغوية تأخذ شكلا منظما ، مما جعل بعضهم يضعها فى إطار نظريات (علم اللغة الحديث) ، ولكن مضمون كلمة (أسلوب) واسع جداً ، الأمر الذى جعل آراء علماء اللغة تتعدد فى بيانه .

فيرى الدكتور أحمد درويش أن دائرة مصطلح (الأسلوب) أكثر اتساعاً من دائرة مصطلح (الأسلوبية) على المستويين الأفقى والرأسى[١] ،ويعرفه أيضا ، بأنه الكلام المقصود لذاته ، الذى لا يهتم بـ(ماذا يقول) ، ولكنه يهتم بـ(كيف يقول)[٢] .

وهذا التعريف يهتم اهتماماً بالغاً بدراسة التركيب، وما يحيط به من ملابسات وظروف ، أو بمعنى آخر يهتم بالسياق والمقام أكثر مما يهتم بنوع الكلام .

وثمة اتجاه آخر يرى أنه السمة الخاصة لفعل من الأفعال، أو طريقة التعبير عن الفكر بوساطة اللغة ، وذلك باستخدام المفردات والبنى القاعدية [٣].

ويرى بعضهم أن الأسلوب يكمن فى الاختيار الواعى لأدوات التعبير ، ويذهب الدكتور سعد مصلوح إلى أنه مفارقة انحراف عن أنموذج آخر من القول ينظر إليه على أنه معيار، ويشترط لجواز المقارنة ، تماثل المقام بينهما .

أو أنه اختيار أو انتقاء يقوم به المنشئ لسمات لغوية معينة من بين قائمة الاحتمالات المتاحة فى اللغة [٤].

---

(١) "المستوى الأفقى يعنى الاستخدام المتزامن للمصطلح فى حقول متعددة متجاورة أو متباعدة ، والمستوى الرأسى يعنى الاستخدام المتعاقب فى فترات زمنية متتابعة داخل حقل واحد.الأسلوب والأسلوبية " مقال للدكتور أحمد درويش /٦٠ . مجلة فصول . العدد الأول ١٩٨٤م .

(٢) السابق .

(٣)الأسلوب والأسلوبية ، لبيير جيرو . ترجمة د. منذر عياشى /٦.

(٤) فى النص الأدبى . دراسة أسلوبية إحصائية للدكتور سعد مصلوح /٢٢.

وخلاصة القول أن أيًا من الآراء التى أشرت إليها فى حد الأسلوب، لا يؤدى وحده معنى متكاملاً، لأن منها ما يكون له طابع من البساطة ما يكاد يبلغ مبلغ البداهة ، ومنها ما يثير من الإشكالات النظرية أو المنهجية أكثر مما يحل .

فالأسلوب – بحق – يتكون فى العقل والوجدان قبل أن ينطق به اللسان ، أو يجرى به القلم ، وهو معانٍ مرتبة قبل أن يكون ألفاظا منسّقة كما يقول الدكتور أحمد الشايب عن الأسلوب "معانٍ مرتبة قبل أن يكون ألفاظا منسقة ، وهو يتكون فى العقل قبل أن ينطق به اللسان أو يجرى به القلم "(١) .

ثانيـاً : الطلب :

أ– الطلب لغة : هو محاولة وجدان الشئ وأخذه(٢) .

ب– الطلب اصطلاحاً : هو ما يستلزم مطلوبا ليس حاصلا وقت الطلب (٣)، لأن الحاصل يمتنع تحصيله ، فلا يجوز أن تقول لإنسان (اقعد) وهو قاعد بالفعل ، لأن قعوده حاصل ، وتحصيل الحاصل محال، ولو استعملت صيغ الطلب لمطلوب حاصل، امتنع إجراؤها على معانيها الحقيقية ، ويتولد من تلك الصيغ ما يناسب المقام .

وإذا كان هذا المطلوب غير متوقع فهو (التمنى) ، وإن كان متوقعا ، فإما حصول صورة أمر فى الذهن فهو(الاستفهام)، وإما حصوله فى الخارج ، فإن كان ذلك الأمر انتفاء فعل ، فهو (النهى)، وإن كان ثبوته فإما بأحد حروف النداء فهو (النداء)، وإما بغيرها فهو (الأمر)(٤).

- وكان لزاماً على أن أمد يدى إلى ما سبق من تناول موضوعات قريبة الصلة إلى هذا الموضوع ، ومنها :

(أساليب الاستفهام فى القرآن الكريم ، إعداد عبد العليم السيد فودة).

و(أساليب الاستفهام فى اللغة العربية . دراسة وصفية تاريخية ، إعداد موسى طيار).

و(دراسات لأسلوب القرآن الكريم، للشيخ محمد عبد الخالق عضيمة)

و(الجملة الطلبية فى الأصمعيات ، إعداد معيض مساعد العوفى)

---

(١) الأسلوب /٤٠.

(٢) لسان العرب ، لابن منظور ٤/٢٦٨٤.

(٣) الأساليب الإنشائية فى النحو العربى ، عبد السلام هارون /١٣.

(٤) جواهر البلاغة، للسيد الهاشمى /٦٢.

و(الجملة الطلبية فى شعر البارودى، إعداد محمد عبد العزيز محمد على).
و(النداء عند النحاة العرب ، إعداد محمد إبراهيم مخلوف).
و(النداء فى المفضليات وجمهرة أشعار العرب "رسالة ماجستير" ، إعداد الباحث أحمد عبد الله إبراهيم حمّاد) .

والحق أن موسوعة الشيخ عضيمة قد أفادتنى فى جمع بعض الشواهد، ومعرفة أرقام آياتها قبل العودة إلى كتاب الله – ﷻ– للتأكد من الضبط والترقيم ؛ ويعلم الله أننى لم أعتمد على أى معجم من المعاجم ، التى تناولت ترتيب ألفاظ القرآن الكريم ، وآياته فى جمع الشواهد القرآنية ، وإنما كان اعتمادى على كتب التفسير وأمهات الكتب فى اللغة والنحو والبلاغة، حيث إننى تتبعت فى كتب التفسير آية آية ، وفى مسألة الشواهد اعتمدت على مصادرها الأساسية الدواوين الشعرية ، وكتب الحديث النبوى ، وكتب التراث الأخرى .

أما منهج هذا البحث فيقوم على الدراسة التركيبية الدلالية ، تلك الدراسة التى تقوم بدورها فى ضوء نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجانى ، وحاولت تطبيق أصول هذه النظرية عند تحليلى للتراكيب الطلبية ، وكذلك عند تحديد دلالة هذه التراكيب ، فكانت الدراسة الدلالية تعتمد – فى المقام الأول– على تحليل هذه التراكيب ، بعد الإلمام بما يحيط بها من ظروف وملابسات ، وبالتالى كانت الدراسة الدلالية ، لا تفصل بين التحليل التركيبى والدلالى لوحدات الجملة .

فاللفظ لا يفهم معناه إلا من النظر فى ظروفه ، وتشمل هذه الظروف كما رأى أستاذنا الدكتور محمد إبراهيم عبادة : السياق ، والظرف ، والمستوى الثقافى ، ودرجة الانتباه عند المستقبل (١) ، والذى يهمنى فى الجانب الدلالى هو المعنى ، ولا يتم معرفته والوقوف عليه ،إلا من استخدام الفرد للفظ مع دراسة علاقاته بغيره.

ويحضرنى فى هذا المقام ما أشار إليه الدكتور أحمد بدوى من أن " دراسة الكلمة على حدتها من غير نظر إلى ما قامت به من أداء حظها المقسوم لها فى معنى الجملة كلها ، لا تجد لها من التأثير ما تجده وهى بين أخواتها تؤدى معناها "(٢).

فالكلمة فى التركيب غيرها مجردة مفردة، فشخصيتها الدلالية تتميز عندما توضع فى

---

(١) الجملة العربية . دراسة لغوية نحوية ، للأستاذ الدكتور محمد إبراهيم عبادة /٣٥.

(٢) من بلاغة القرآن ، للدكتور أحمد بدوى / ٥٤ وانظر دراسات فى علم المعنى (السيمانتيك) د. كمال بشر /١٦٠ .

ويمكن أن يعد الاستفهام والأمر وسيلتين للأساليب الطلبية فى تحقيق الدلالة غير الحقيقة، التى تفهم من السياق وقرائن الأحوال فيه ، ويأتى النهى فى المرتبة الثانية ، ثم النداء، والتمنى والتحضيض ، والترجى ، والعرض .

وقد تعبر الكلمة الواحدة مع محافظتها على لفظها وأصواتها عن أكثر من معنى ، والسياق هو الذى يبين لنا الاتجاه التعبيرى للكلمة ، فإذا اتفقت كلمتان أو أكثر فى أصواتهما اتفاقا تاما، فإن هذه الكلمات لا يكون لها معنى دقيق إلا بسياقها التى تقع فيه (١)، فمثلاً كلمة (يد) بأصواتها الثلاثة قد تعنى : اتحاد الأمر ، ويد الدهر ، ويد الطائر ، ويد الفأس ، ويد الإنسان ، ويد الآلة ، ويد الأمر ، ويد الريح ، والقوة ، والذلة والاستسلام ، والنعمة والإحسان تصطنعه، الخ . ولا يوضح ما تعبر عنه الكلمة من هذه المعانى المختلفة غير سياقها الذى بدونه يختلف الناس فى تفسيرها .

ومن الواضح أن الكلمة المفردة الموجودة فى سياق التعبير ، قد يختلف الناس فى تفسيرها، كل حسب ثقافته ، وبالتالى لا تتحدد دلالتها المعنوية تحديداً دقيقا، وتصير مبهمة الدلالة، ويزيل إبهامها وغموضها ، كل ما يتصل بها من ظروف وملابسات تعين على تحديد المعنى الدقيق لها وتحقيقه .

والجدير بالذكر أن ابن فارس قد تنبه إلى ذلك ، حيث خصص بابا أسماه (باب الأسماء كيف تقع على المسميات).

قال: " يسمى الشيئان المختلفان بالاسمين المختلفين، وذلك أكثر الكلام ، كرجل وفرس، وتسمى الأشياء الكثيره بالاسم الواحد، نحو عين الماء، وعين السحاب ، وعين المال، وعين الشئ، وهذا الأخير هو المشترك اللفظى "(٢) ، وقد حدّه أهل الأصول بأنه اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر ، دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة "(٣).

وقد تناوله علماء اللغة ، واختلفوا فيه ، فأنكره بعضهم ، وتأول ما ورد منه بأن جعل أحد المعنيين حقيقيا والآخر مجازيا ، والأكثرون على أنه واقع ، لنقل أهل اللغة ذلك فى كثير

---

(١) انظر لهجة شمال المغرب (تطوان وما حولها) . د. عبد المنعم سيد عبد العال / ١٧٥.

(٢) الصاحبى فى فقه اللغة، لابن فارس /١١٤، وانظر المزهر فى علوم اللغة ٣٦٩/١ حيث نقله عن ابن فارس .

(٣) انظر المزهر فى علوم اللغة ٣٦٩/١.

من الألفاظ ، وحجتهم فى ذلك أن المعانى غير متناهية والألفاظ متناهية (١).

وتغيير الكلمة بتغيير وضعها ، أمر شائع فى لغتنا العربية ، وفى اللغات جميعا، فمثلا كلمة (كتاب) تأتى بمعنى القرآن الكريم .قال تعالى (الٓمٓ ذَٰلِكَ الْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ) البقرة/١،٢.

وبمعنى التوراة فى قوله تعالى :(أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) البقرة/٤٤.

وأهل الكتاب: اليهود والنصارى . قال تعالى : (مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ) البقرة /١٠٥.

والتوراة والإنجيل، قال تعالى : (وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ النَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَٰبَ) البقرة /١١٣ .

واللوح المحفوظ ، كقوله:(وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ) الأنعام /٥٩.

ومقدار أومدة . قال الله تعالى : (لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ) الرعد /٣٨.

و(الحلال والحرام) ، قال تعالى : (وَعِندَهُۥٓ أُمُّ الْكِتَٰبِ) الرعد /٣٩. وقيل : الذكر .

والصحيفة نحو (جاءتك كتابى) ، أى صحيفتى .

والكتاب،كـ(كتاب التاريخ ، كتاب الفيزيقا، كتاب الجغرافيا) الخ .

والحساب . قال تعالى : (هَآؤُمُ اقْرَءُوا كِتَٰبِيَهْ) الحاقة / ١٩ .

والمعانى التى أدتها الكلمة ، معان حقيقية ، وليست مجازية ، إذ كل معنى فيها يختلف فى حقيقته عن سابقه.

---

(١) المزهر فى علوم اللغة ١/ ٣٦٩.

فمعانى الكلمات التى مثلت بها معان حقيقية غير مجازية ، لأنها لا تثير عند سماعها دهشة أو غرابة ، ولا يحس السامع أو القارئ أن فى دلالتها الجديدة أمراً غير عادى، يبعد قليلاً أو كثيرا عن مألوف الناس وفهمهم لمعانيها ، مما هو متوفر فى المجاز (١).

إذاً ترجع حيوية الكلمة إلى وجودها فى سياق خاص ، ومن اتصالها بكلمات أخرى تتفاعل معها وتتأثر بها وتؤثر فيها بما يكفل إحداث التفاعل ، الذى يقيم بين المتكلم والمخاطب علاقة من التفاهم هى أساس الحياة الاجتماعية (٢) .

ومن ناحية أخرى فإن للمقام دوراً هاماً فى تحديد الدلالة أيضا، وهذا الدور لا يقل أهمية عما يؤديه السياق فى الدلالة ، فلابد أن يكون الكلام ملائما للموقف المعين ومطابقا له .

فإذا ما تحققت هذه الخاصة للكلام ، فإنه يصبح مكتمل الدعائم الأساسية بأن يمنح التركيب أو الأسلوب المعين خواص الامتياز والتفوق عن غيره، بأن يصبح هو الأولى بالاختيار.

ومن المعلوم أن المواقف (الظروف) اللغوية والملابسات الخارجية تتنوع تنوعا يفوق كل إمكانيات الحصر والتحديد ، وتنوع المواقف وتعددها يستلزم تنوعا وتعددا فى الخواص والعناصر اللغوية ، التى يجب أن يتضمنها التركيب ، أو الأسلوب المعين ،ليكون مطابقا لمجريات الحال أو (المقام) (٣) .

ومن هنا ألاحظ أن السياق والمقام من المعول عليهما فى تحديد دلالة التركيب ، لذا أجد بعض التراكيب تحمل أكثر من دلالة، لاختلاف سياقاتها وقرائن أحوالها .

---

(١) انظر لهجة شمال المغرب /١٧٨.

(٢) السابق .

(٣) انظردراسات فى علم المعنى (السيمانتيك) /١٥٧ .